

قالب لصناعة الحلي والمجوهرات من تل دير علا

زيدان كفافي

مقدمة

١. ندرة وجود هذا القالب في الأردن والمنطقة، إذ لم يعثر حتى الآن على أمثلة مشابهة له إلا من موقعين في سوريا هما رأس شمرة على ساحل البحر المتوسط بالقرب من اللاذقية، وتل باز في حوض نهر الفرات الأوسط.
٢. عمره الذي يبلغ حوالي ٢٣٠٠ عام.
٣. الاستدلال على أشكال الحلي والمجوهرات التي كانت تلبس في تلك الفترة من خلال معرفة الأشكال المحفورة على القالب.
٤. يدل وجود قوالب مماثلة في مناطق بعيدة عن الأردن على وجود اتصالات حضارية بعيدة لهذا البلد منذ القدم.
٥. المادة المصنوع منها القالب غير متوفرة في الأردن، حسب نتائج التحليل التي تمت في مختبرات كلية الآثار والأنثروبولوجيا في جامعة اليرموك.
٦. تحتاج عملية استخدام القالب إلى أناس متخصصين ومهرة في صناعة المجوهرات، وهذا يعني توفرهم في تل دير علا خلال ذلك الوقت.
٧. لصناعة المجوهرات والحلي المحفورة أشكالها على القالب، لا بد من توفر المواد الخام التي تصنع منها، وهذا يعني وجودها في الأردن.

صناعة المعادن في الأردن

لا نريد في هذه العجالة أن نتحدث بالتفصيل حول صناعة المعادن في الأردن، لكننا أردنا أن نعرف القاريء برؤوس أقلام حول هذا الموضوع، ونترك الأمر للمختصين بعد ذلك ليشرحوا للناس هذا الأمر الهام. كما نود أن ننبه إلى أن القالب قيد الدراسة، واعتماداً على دراسة المقارنة مع قوالب أخرى عثر عليها في مواقع سورية، يؤرخ للفترة الواقعة بين حوالي ١٢٠٠ وحتى ١٢٠٠ قبل الميلاد. كذلك وحتى الآن لم يعثر في الأردن على أية مشاغل لصناعة الحلي والأواني البرونزية في شمالي الأردن تعود للفترة المذكورة اعلاه، لكن التقارير المنشورة حول نتائج الحفريات الأثرية في موقع تل دير علا تؤكد على وجود دلائل على صناعة الحديد في الموقع خلال القرنين الثاني عشر والحادي عشر قبل الميلاد (Ibrahim and van der Kooij 1989; Kafafi 2009). وصرح هنك فرانكن أن سكان الموقع في هذه الفترة كانوا شبه - بدو، أي يمارسون الزراعة إضافة لتربية الحيوانات.

اجتمع الفريق الأردني - الهولندي في شتاء عام ١٩٩٦م من أجل استئناف أعمال التنقيب في تل دير علا. ومن المعروف أن أول من بدأ أعمال التنقيبات الأثرية في التل كان الهولندي هنك فرانكن من جامعة لايدن في عام ١٩٦٠م. ومن ثم تحول المشروع في عام ١٩٧٦م إلى مشروع مشترك بين دائرة الآثار العامة الأردنية ويمثلها الدكتور معاوية ابراهيم، وجامعة لايدن الهولندية ويمثلها هنك فرانكن، ومن ثم خلفه في نهاية السبعينات الدكتور خيرت فان دير كوي. وبعد أن انضم الدكتور معاوية ابراهيم إلى جامعة اليرموك عام ١٩٧٩م، تحول المشروع إلى مشروع مشترك بين المؤسسات الثلاث المذكورة أعلاه. وبعد أن انتقل الدكتور معاوية للعمل في جامعة السلطان قابوس، خلفه في ادارة المشروع من جامعة اليرموك الدكتور زيدان كفافي.

وكعادة كل موسم من حفريات تل دير علا الأثرية، يتقاطر المشاركون قبل بدء العمل بيوم أو أيام إلى محطة تل دير علا، ومن ثم يوزعون على العمل كل حسب اختصاصه، فالآثاريون يوزعون على مناطق التنقيب للإشراف على عملية الحفر، والرسامون يبقون في محطة الأبحاث الأثرية، التي بنيت قريبة جداً من السفح الجنوبي للتل، وعندما تمطر السماء أو تهب الرياح الشرقية، يخلد الجميع للراحة حتى تتوقف، بعد ذلك يقوم بعض أفراد الفريق بالذهاب والسير على سطح التل وأعينهم ملتصقة إلى الأرض بحثاً عن قطعة أثرية كشفت عنها الأمطار وانحدرت مع المياه إلى السطح. وهنا تبدأ قصة قالب المجوهرات الذي هو محور حديثنا.

كان موسم الحفريات في عام ١٩٩٦م ممطراً، وكثرت فيه الرياح الشرقية. وفي أحد الأيام قرر الرسام هيجو دي ريدو الذهاب إلى سطح التل علّه يخفف عن نفسه بعض الضجر، لعدم وجود ما يرسمه، وبحثاً عن قطعة أثرية جلبتها الأمطار إلى سطح التل. وكان له ما أراد، عاد إلى محطة البحث يحمل في يده حجراً مسطحاً محفور عليه أشكال زخرفية، عرض الأمر على الآثاريين اللذين اكتشفوا أن ما عثر عليه السيد هيجو ما هو إلا قالب لصناعة الحلي والمجوهرات، خاصة الأقراط والخواتم، وقاموا بكتابة الأبحاث حوله (Kafafi 2009). وحيث أن هذه القطعة الأثرية فريدة من نوعها، ولأسباب أخرى نجملها أدناه، فهي بهذا تعد قطعة متحفية تستحق العرض والمشاهدة، ولأسباب التالية:

صناعة الحلي والمجوهرات

عرف الناس الحلي والمجوهرات منذ عصور ما قبل التاريخ، لكن موادها الخام وطريقة صناعتها وأشكالها اختلفت من فترة لأخرى ومن مجتمع لآخر (Maxwell-Hyslob 1971). وازداد استخدام الناس لأدوات الزينة هذه بشكل خاص بعد ان استقر في قرى، ومن ثم في مدن، واستطاع أن يطور من طرق تصنيعه، وأن ينوع في المواد الخام المصنعة. وعثرنا في الأردن على مجموعات متعددة في مواقع تعود للعصر الحجري الحديث (المجتمعات الزراعية الأولى) في مواقع متعددة مثل عين غزال والبسطة والبيجة (Al Nahar 1993)، وفي معظم الحالات تصنع الحلي والمجوهرات من خامات نادرة وغالية الثمن. لذا، نجد أن لها قيمتان، الأولى جمالية، والثانية مادية.

وحيث أننا نتحدث عن المواد الخام المستخدمة في صناعة الحلي، فإن أول ما يقفز إلى ذهن القارئ، معدن الذهب، ومتى استخدم في الحقيقة أن صناعة الحلي من هذا المعدن الثمين بدأت في مرحلة متأخرة جداً عن استخدام المعادن الأخرى مثل النحاس والبرونز والحديد. والأسباب وراء هذه المسألة معروفة، إذ أن خامات الذهب نادرة جداً، هذا أولاً، وثانياً أن عملية تصنيع الحلي وغيرها من الأدوات من معدن الذهب تتطلب درجة حرارة أعلى من درجة صهر المعادن الأخرى. ونود أن نغتنم فرصة الحديث حول استخدام معدن الذهب في صناعة الحلي والمجوهرات لنذكر أنه عثر في أحد المقابر بشمالى فلسطين المؤرخة للألف الخامس قبل الميلاد على مجموعة من الخلاخيل والأساور الذهبية، لكنها لم تكن مصنعة، بل مطروقة طرقة (Gopher et al. 1990)، كما عثر في عدد من المواقع والقبور في الأردن وفلسطين، المؤرخة لنهاية الألف الثاني قبل الميلاد مثل تل وقاص/تل القدح، تل السعيدية، بيسان، أبوحوام، تل المنسلم وتل العجول على مجموعة من الخرز والأقراط المصنوعة من خامات مختلفة (Hamilton 1935; Loud 1948; Hard- ing 1953; Yadin et al. 1961; Negbi 1970; Pritchard 1980).

قالب تل دير علا لصناعة الحلي

ذكرنا أعلاه أن هذا القالب وجد عن طريق الصدفة، واعتماداً على دراسة المقارنة مع قوالب أخرى وجدت في موقعي رأس شمرة وتل باز في سوريا، فإنه يؤرخ للفترة بين حوالي ١٣٠٠ - ١٢٠٠ قبل الميلاد. تبلغ أبعاد قالب تل دير علا ١٢,٥ سنتيمتراً في الطول، و ٦,٥ سنتيمتراً عرضاً. وعند العثور عليه كان في حالة جيدة، إلا أن بعض أطرافه جاءت مهشمة بفعل عاديات الزمن (الشكل ١). كما لوحظ وجود ثقب فيه ربما عمل لتثبيت غطاءه (هذا إن كان له غطاء)، أو ربما لتعليقه.

وللتعرف على المادة التي صنع منها هذا القالب ومكوناتها، تم دراستها وتحليلها في مختبرات كلية الآثار والأثروبولوجيا في جامعة اليرموك باستخدام طريقة (X-Ray). وبعد التحليل، تبين أن القالب مصنع من مادة غير متوفرة في الأردن هي السربنتنايت (Serpentinite). وباعتقاد

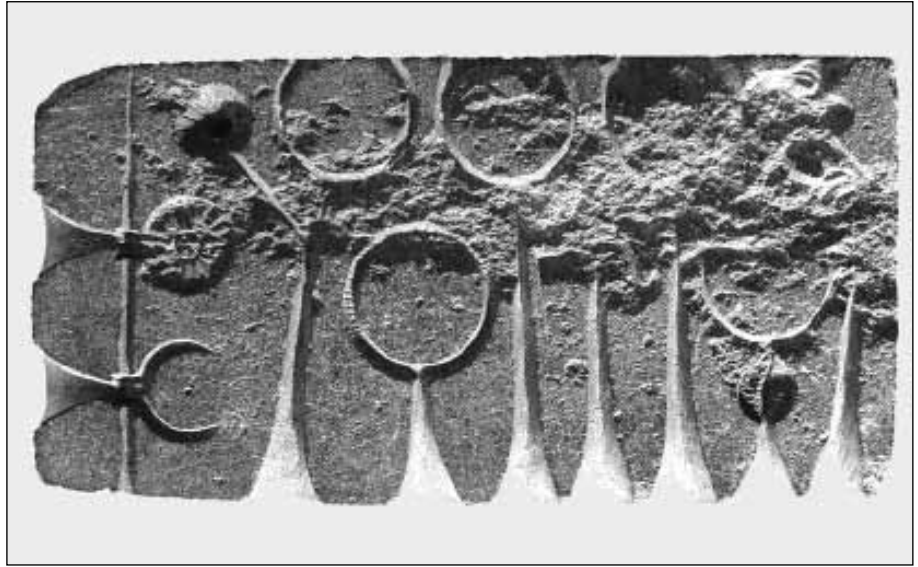
تحتاج صناعة وتصنيع الأدوات المعدنية جهداً ومهارة تختلف عن الصناعات الأخرى. فأولاً يجب توفر المادة الخام، حيث تبدأ عملية استخراج المعدن من محجره (التعدين)، وبعدها يصهر بعد أن يتم وضعه في بوتقة أو فرن لتصل درجة الحرارة المطلوبة، وهذا يتطلب وجود مواد اشتعال من حطب أو غيره، وبعد هذا يطرق أو يصب في قوالب حتى يتم الوصول لشكل الأداة أو الإناء المطلوب، وبالإضافة لهذا، فإن الوصول للمبتغى يتطلب أيضاً توفير التمويل اللازم، والأيدي الماهرة لذا رأى بعض الباحثين أن مثل هذه الأمور لا تتوفر إلا في مكانين هما: المعبد والقصر (Philip 1991).

ولا يفترض بنا الإعتقاد دوماً بأن العثور على أدوات معدنية في مكان ما أنها صنعت في نفس المكان، بل يجب أن تتوفر في الموقع أماكن وتجهيزات التصنيع. كذلك على الباحث الأخذ بعين الاعتبار أنه وفي كثير من الحالات فإن مصانع الأدوات المعدنية قد تكون في مناطق بعيدة، وأن ما يكتشف منها في بعض المواقع يكون قد جلب بوسائل متعددة منها التجارة، والهجرات البشرية.

وإذا ما عدنا بالحديث حول صناعة المعادن في الأردن، نستطيع القول أن خامات النحاس تتوافر بكثرة في منطقة وادي عربة، مثل وادي فينان. أما خامات الحديد فهي متوفرة في جبال عجلون في منطقة مغارة الوردية. ويقوم بالتنقيب في الموقع الأخير فريق من متحف الأردن بإشراف الدكتور يوشع العمري. وربما يعتقد بعض الناس أن صناعة النحاس شاعت خلال العصر الحجري النحاسي (حوالي ٤٥٠٠ - ٣٥٠٠ قبل الميلاد)، لكن هذا الإعتقاد غير دقيق. إذ أنها عرفت في هذا العصر وعثر على عدد قليل من الأدوات المصنعة من هذا المعدن، وأن أفضل الأمثلة من منطقة جنوبي بلاد الشام جاءت من موقع اسمه وادي محرس (أو بالإنجليزية Nahal Mishmar). إنه من المتداول بين الباحثين أن صناعة النحاس شاعت وازدهرت خلال العصر البرونزي القديم (حوالي ٣٥٠٠ - ٢٠٠٠ قبل الميلاد)، وهذا الأمر ينطبق على صناعة البرونز، حيث أن معرفة خلط النحاس مع القصدير لاستخراج معدن البرونز عرفت في نهاية الألف الرابع قبل الميلاد، إلا أن صناعة البرونز ازدهرت خلال العصر البرونزي المتوسط خلال النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد.

وحيث أن قالب الحلي قيد الدراسة يؤرخ للقرن الثالث عشر قبل الميلاد، أي نهاية العصر البرونزي المتأخر، إذن أين نجد أفضل الأمثلة على الصناعات المعدنية سواء الحلي أو الأسلحة أو الأواني. لقد عثر على حلي ومجوهرات في مواقع متعددة في الأردن تعود للمرحلة الأخيرة من العصر البرونزي المتأخر، ومنها، تل السعيدية، تل أبو الخرز، دير علا في غور الأردن، سحم في محافظة إربد وأم الدنانير في حوض البقعة/شمالى عمان. وبعض هذه العثورات معروضة في المتاحف الأردنية، ومن أهمها مجموعة معبد مطار عمان/ماركا، والمعروضة في متحف الآثار الأردني/جبل القلعة في عمان.

زيدان كفاي: قالب لصناعة الحلبي والمجوهرات من تل دير علا



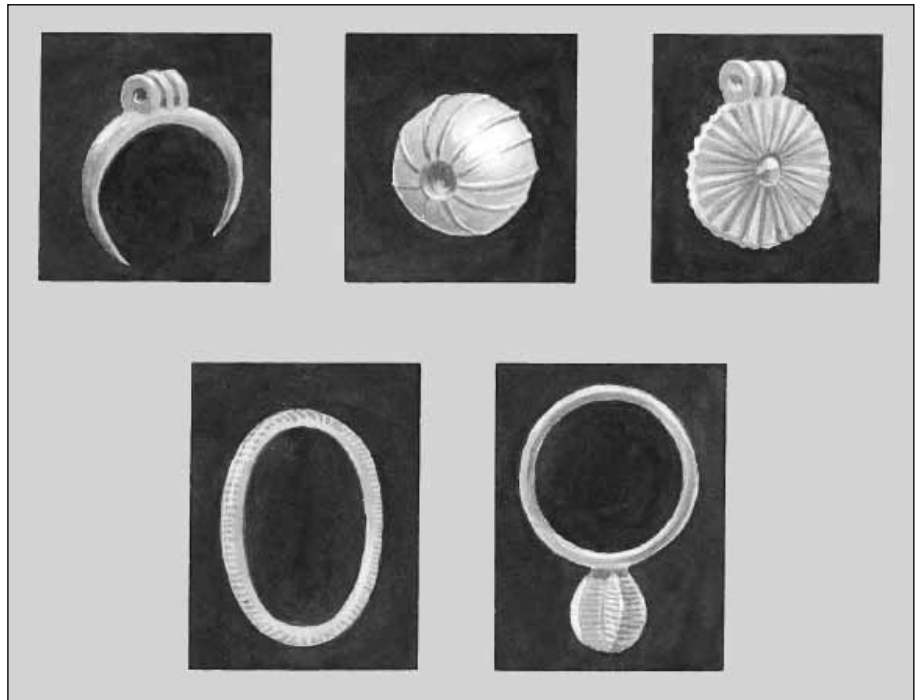
١. قالب لصناعة الحلبي من تل دير علا (تصوير يوسف الزعبي).

أشكالاً محلية، لها ميزات الخاصة بها (Sass 1997: 242). ونقدم أدناه دراسة مختصرة لكل شكل من الأشكال التي تم التعرف عليها في القالب. **الخواتم:** عثر على خواتم مشابهة لتلك المحفورة على القالب في عدد من المواقع في الأردن، نذكر منها: سحم/بالقرب من مدينة إربد، وكانت مصنوعة من الفضة المعروف أن أقرب مصدر لخامات الفضة للأردن هو جنوبي تركيا. كما عثر في بلدة أم الدنانير في حوض البقعة شمالي عمان على عدد من الخواتم الملبسة بمعدن النحاس وتؤرخ للفترة الانتقالية بين العصر البرونزي المتأخر والعصر الحديدي (حوالي ١٣٠٠ - ١٢٠٠ قبل الميلاد) (McGovern 1986: 248, pl. 31).

الدكتور مصطفى النداف أن هذه المادة متوفرة في بلاد اليونان. ومن هنا نتساءل: هل صنع هذا القالب في بلاد اليونان؟

أشكال الحلبي المنحوتة على القالب

تكونت أشكال الحلبي والمجوهرات المنحوتة على سطح القالب قيد الدراسة، من الأقراط والخواتم والدلايات والخرز (الشكل ٢). ويرى بعض الباحثين والمتخصصين في دراسة العصور البرونزية المتأخرة أن أشكال الحلبي والمجوهرات المصنوعة خلال هذه الفترة تأثرت كثيراً بأشكال ما يماثلها في البلدان المجاورة خاصة مصر (Dothan 1979; Andrews 1990). هذا مع العلم أنه كانت هناك



٢. أشكال الحلبي المحفورة على قالب تل دير علا (رسم هيجو دي ريده).

Bibliography

- Al Nahar, M.
1993 *Jewelry in the Neolithic Period found in 'Ain Ghazal and Wadi Sh'eib: Typological Analysis and Comparative Study "Arabic"*. Unpublished MA Thesis submitted to the Institute of Archaeology and Anthropology of Yarmouk University.
- Andrews, C.
1990 *Ancient Egyptian Jewellery*. London.
- Dothan, T.
1979 Excavations at the Cemetery of Deir el-Balah. *Qedem* vol. 10. Jerusalem.
- Fischer, P.M.
1997 A Late Bronze Age to Early Iron Age Tomb at Saham, Jordan. *Abhandlung des Deutschen Palästina-Verein*. Band 21. Wiesbaden: Harrassowitz Verlag.
- Franken, H.
1992 *Excavations at Tell Deir 'Alla. The Late Bronze Age Sanctuary*. Louvain: Peters Press.
- Gopher, A. et al.
1990 Earliest Gold Artifacts in the Levant. *Cuurent Anthropology* 31: 436-443.
- Hamilton, R.W.
1935 Tell Abu Hawwam. *Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine* 4: 1-69.
- Harding, L.
1953 Four Tomb Groups from Jordan. *Palestine Exploration Fund Annual* 6. London.
- Ibrahim, M. and Van der Kooij, G.
1989 *Picking Up the Thread*. Leiden: University of Leiden.
- Kafafi, Z.
2008 A Late Bronze Age Jewelry Mould From Tell Dayr 'Alla, Jordan. Pp. 255-264 in J.M. Cordoba et al. (eds.), *Proceeding of the 5th International Congress on the Archaeology of the Ancient Near East*.
- Loud, G.
1948 *Megiddo II. Seasons of Excavations of 1935-1939*. Text Vol. and Plate Vol. QIP 62. Chicago.
- Maxwell-Hyslop, K.R.
1971 *Western Asiatic Jewellery, c. 3000-612 B.C.* London.

الأقراط: عثر في قبر في بلدة سحم على أقراط مصنوعة من الذهب والفضة والبرونز، شكلها هلالتي حيث تنتفخ في الوسط وتستدق عند الأطراف. ويلتصق في وسطها، في بعض الأحيان، معدن مشكل على هيئة تاج (Fischer 1997: figs. 29-30, pls. 41-42). وعثر على هذا الشكل من الأقراط في مواقع فلسطينية متعددة (Negbi 1971) كما نود أن نذكر هنا أن الحفريات التي أجراها هناك فرانكن في موقع تل دير علا خلال ستينات القرن الفائت، كشفت النقاب عن قرط مصنوع من الذهب (Franken 1992: 32, fig. 3-10: 14). كذلك عثر في أم الدنانير على أقراط ملبسة بالنحاس وتعود للفترة الانتقالية بين العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول.

الدلايات: أثناء عملية التنقيب في معبد تل دير علا المؤرخ لنهاية العصر البرونزي المتأخر، وجد المنقب مجموعة من الدلايات والخرز، بعضها مصنوع من الزجاج (Faience) (Franken 1992). وجاء شكل بعض الدلايات هلالياً، وهو بهذا يطابق الشكل المحفور على القالب قيد الدراسة.

الخرز: تصنع الخرز في العادة من خامات مختلفة مثل الأحجار الكريمة والنحاس والبرونز والعظم والأصداف البحرية وغيرها. ولا يخلو موقع أثري من هذا النوع من الحلي والمجوهرات. وإذا جاز لنا أن نذكر مواقع تعود لنهاية العصر البرونزي المتأخر، ووجد فيها خرز، فإننا نذكر: تل دير علا، تل السعيدية، طبقة فحل، أم الدنانير ومعبد مطار عمان/ماركا. وجاءت أشكال كثير منها تشابه تلك المحفورة على القالب.

الخاتمة

أن دراستنا حول قالب الحلي والمجوهرات الذي عثر عليه في موقع أردني في غور الأردن، واستقر فيه الإنسان من حوالي ١٧٠٠ وحتى حوالي ٣٣٠ قبل الميلاد، أثبتت ان سكان هذا الموقع كانوا على درجة من الرقي الفني، وأنهم كانوا على تواصل مع المجتمعات الأخرى القريبة منها والبعيدة. وبرأينا أن مثل هذا النوع من الصناعات لا يكون حكراً على جنس بشري أو عرق واحد، بل هو ملك للإنسان الفنان بغض النظر عن جنسه أو مكانه. أما القالب الذي بين أيدينا فهو تحفة أثرية تستحق أن تعرض في أي متحف، للأسباب التي ذكرناها أعلاه.

شكر وتقدير

يشكر الكاتب كل من الدكتور مصطفى النداف /كلية الآثار والأنثروبولوجيا بجامعة اليرموك لقيامه بتحليل المادة المصنوع منها القالب، وتزويدها بالمعلومات الضرورية حولها. الشكر موصول أيضاً لكل من السيد هيجو دي ريده لقيامه برسم القالب، والسيد يوسف الزعبي لتصويره القالب.

أ.د. زيدان كفافي

كلية الآثار والأنثروبولوجيا- جامعة اليرموك
zeidan.kafafi@gmail.com

زيدان كفاقي : قالب لصناعة الحلبي والمجوهرات من تل دير علا

- McGovern, P.E.
1985 *Late Bronze Age Palestinian Pendants: Innovation in a Cosmopolitan Age*. Sheffield.
- Negbi, O.
1970 *The Hords of Goldwork from Tell el-'Ajjul. Studies in Mediterranean Archaeology* 25. Göteborg.
- Negbi, M.
1971 Crescent- or Legume-Shaped Ear-Rings? *Israel Exploration Journal* 21: 219.
- Philip, G.
1991 Art and Technology. Pp.86-109 in P. Bi-
enkowski (ed.), *The Treasures from an Ancient Land. The Art of Jordan*. Merseyside: National Museum and Galleries.
- Pritchard, J.B.
1980 *The Cemetery at Tell es-Sa'idiyeh, Jordan. University Museum Monograph 41*. Philadelphia: The University Museum.
- Sass, B.
1997 Jewelry. Pp. 238-246 in E.M. Meyers (ed.), *The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Near East, Vol 3*. New York-Oxford: Oxford University Press.